

تفسير البحر المحيط

@ 375 اسمين متمكنين مرتفعين بالابتداء وما بعدهما خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد { لِمَا تُوْعَدُونَ } والتكرار للتأكيد ، ويجوز أن يكونا اسمين للفعل والضم للبناء مثل حوب في زجر الإبل لكنه نون لكونه نكرة انتهى . وقرأ ابن أبي عبلة { هَيَّهَاتَ هَيَّهَاتَ } ما { تُوْعَدُونَ } بغير لام وتكون ما فاعلة بهيئات . وهي قراءة واضحة . . وقالوا { إِنَّ هِيَ } هذا الضمير يفسره سياق الكلام لأنهم قبل أنكروا المعاد فقالوا { أَيْعِدُكُمْ أَوْ زَكِّمُكُمْ } الآية فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف واستهزاء ، فتضمن أن لا حياة إلا حياتهم . وقال الزمخشري : هذا ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه ، وأصله أن الحياة { إِلَّا } حَيَاتُنَا الدنيا ثم وضع { هِيَ } موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبنيها ، ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول : ما شاءت ، والمعنى : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا لأن { إِيَّاهُ } الثانية دخلت على { هِيَ } التي هي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوارنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس . . { نَمُوتُ وَنَحْيَا } أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن انتهى ، ثم أكدوا ما حصروه من أن لا حياة إلا حياتهم وحرّموا بانتفاء بعثهم من قبورهم للجزاء وهذا هو كفر الدهرية ، ثم نسبوه إلى افتراء الكذب على الله في أنه نبأه وأرسله إلينا وأخبره أنا نبعث { وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ } أي بمصدقين ، ولما أيس من إيمانهم ورأى إصرارهم على الكفر دعا عليهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم { قَالَ عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } أي عن زمن قليل ، وما توكيد للقلة وقليل صفة لزمن محذوف وفي معناه قريب . قيل : أي بعد الموت تصيرون نادمين . وقيل { عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } أي وقت نزول العذاب في الدنيا ظهور علاماته والندامة على ترك قبول ما جاءهم به رسولهم حيث لا ينفع الرجوع ، واللام في { لَيُصْـَـيِّرُنَّ } لام القسم و { عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } متعلق بما بعد اللام إما بيصحن وإما بنادمين ، وجاز ذلك لأنه جار ومجرور ويتسامح في المجرورات والظروف ما لا يتسامح في غيرها ، ألا ترى أنه لو كان مفعولاً به لم يجز تقديمه لو قلت : لأضربن زيداً لم يجز زيداً لأضربن ، وهذا الذي قررناه من أن { عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } يتعلق بما بعد لام القسم هو قول بعض أصحابنا وجمهورهم على أن لام القسم لا يتقدم شيء من معمولات ما بعدها عليها سواء كان طرفاً أو مجروراً أو غيرهما ، فعلى قول هو لا يكون { عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره { عَمَّ إِلَّا قَلِيلٌ } تنصّر لأن قبله قال { رَبِّ انصُرْنِي } . وذهب الفراء وأبو عبيدة إلى جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقاً . وفي اللوامح

عن بعضهم لتصبح بناء على المخاطبة ، فلو ذهب ذاهب إلى أن يصير القول من الرسول إلى الكفار بعدما أجيب دعاؤه لكان جائزاً وإِذْ أَعْلَمَ انْتَهَى . .

{ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ } قال الزمخشري : صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم { بِرَالْحَقِّ } بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من إِذْ من قولك : فلان يقضي بالحق إذا كان عادلاً في قضاياه شبههم بالغناء في دمارهم وهو حميل السيل مما يلي واسود من الورق والعيان انتهى . وعن ابن عباس { الصَّيْحَةُ } الرجفة . وقيل : هي نفس العذاب والموت . وقيل : العذاب المصطلم . قال الشاعر : % (صاح الزمان بآل زيد صيحة % .

خروا لشنيتها على الأذقان .
%)

وقال المفضل : { بِرَالْحَقِّ } بما لا مدفع له كقوله : وجاءت سكرة الموت بالحق . وانتصب بعداً بفعل متروك إظهاره أي بعدوا بعداً . أي هلكوا ، يقال بعد بعداً وبعداً نحو رشد رشدًا ورشدًا . وقال الحوفي { لِّلْأَقْوَمِ } متعلق بعداً . وقال الزمخشري : و { لِّلْأَقْوَمِ الظَّالِمِينَ } بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو { هَيِّتْ لَكَ } و { لِمَا تُوَعَّدُونَ } انتهى فلا تتعلق ببعداً بل بمحذوف . .

{ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدا القوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشر مثلنا وقومهما لنا